



إن الذي يضع له هدفاً ويمشي إليه في طريق مستقيم فسرعان ما يصل، أما إذا سلك طرفاً ملتوية معوجة فسيتأخر وربما لن يصل..

الهدف هو الجنة، والطريق المستقيم إليها هو دين الله جل وعلا، والطرق المنحرفة المعوجة هي الفتن والشهوات والشبهات ومزالق الشيطان.

1- حقيقة الاستقامة:

لقد أمرنا الله وفرض وأوجب علينا أن نسأل الله الاستقامة كل يوم سبع عشرة مرة، نعم فرض محتم لا يجوز لك أن تتركه، كل يوم تسأله الاستقامة سبع عشرة مرة في صلاة الفرض فقط دون النافلة **{اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** [الفاتحة: 6]. ولكن ما هي الاستقامة، وما حقيقتها؟

الاستقامة هي لزوم الجادة وعدم السير يمنة ويسرة مع بنىات الطريق ومع المغريات والشهوات والفتنة. الاستقامة هي الثبات على دين الله، وعدم السير وراء كل ناعق، واتباع الحق لا زُخرف الباطل.

الاستقامة هي التزام ما يستطيع أن يأتي به الإنسان من طاعات، وبعد عن المعاصي كلها، قال صلى الله عليه وسلم: (ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم).. [1]

وإن وقع في معصية فليعد ويستغفر؛ لذلك أمر الله بالاستغفار بعد الأمر بالاستقامة لأنه يعلم ضعف الإنسان، فقال: **{فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ}** [فصلت: 6].

الاستقامة تقضي أن تكون أحوالك كلها مع الله، خوفاً، وخشية، وذراً، وعدم أمن لمكره.

الاستقامة تعني إذا عُرضت عليك أي فتنه أو شهوة أن تعرض عنها متذكرةً لربك وعظيم عقابه وجزيل ثوابه.

الاستقامة أن تمنع أذاك عن الآخرين، وأن تعطي لكل ذي حق حقاً، أن تؤدي الحقوق تماماً، لا إفراط ولا تفريط.

الاستقامة تعني أن تنقاد للحق مسلماً مستسماً راضياً بل وطالباً لتنفيذ حكم الله فيك أو في أهلك وقرابتكم وعشائركم {ولو} **أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ**

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُونَا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء 64 - 65]

وقد توعد الله وهدد وخوّف كل من يحيد عن الصراط المستقيم والدين القويم، فقال: **{فُلْ كُلُّ مُتَرِّصٍ فَتَرَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ}**

مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السُّوِّيِّ وَمَنْ اهْتَدَى} [طه: 135].

2- استقم ولا تطغى:

قال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: 112].

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوم على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهي عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مصرعه حتى ولو كان على مشرك" [2] إن الاستقامة هي السير إلى الله ضمن حدود حدها، وضدها الطغيان وهو: مجاوزة الحد في كل شيء.

وقد توعد وهدد سبحانه في ختام الآية فقال: {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

كما أنه سبحانه أمر بالاستقامة كما أمر لا كما يهوى العبد {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}

قال ابن عباس ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية عليه.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام: (شيّبتي هود وأخواتها) [3]

استقم ولا تتجاوز حدود الله، فله حدود حذر من تجاوزها أو الاعتداء عليها، قال تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [آل عمران: 229].

بل حذر سبحانه من الاقتراب منها، فقال: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [آل عمران: 187]

قال عليه الصلاة والسلام: (..فَمَنْ اتَقَ الشَّهَابَاتِ اسْتَبَرَ لِدِينِهِ، وَعَرَضَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّهَابَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي بِرَعْيِ حَوْلِ الْحَمَى، يَوْشِكُ أَنْ يَرْتَعِ فِيهِ، أَلَا وَإِنْ لَكَ مَلْكٌ حَمَى، أَلَا وَإِنْ حَمَى اللَّهُ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةٌ، إِذَا صَلَحتُ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [4]

إن الله عز وجل كريم ورحيم، فقد أباح لنا ما في الأرض كلها، {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [آل عمران: 29]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا} [آل عمران: 168]

وحرم علينا خطوات يسيرة ليعلم سبحانه من يخشاه ويحافظ بالغيب {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ} [آل عمران: 168]. وقال: {كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ} [آل عمران: 142]. فلماذا

نترك الفسيح ونفع في الخطوات؟!

3- استقامة أم ادعاء؟!

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: (يا رسول الله! قل لي في الإسلام قوله لا أسأل عنه أحداً بعدك) – فلخص له النبي صلى الله عليه وسلم طريق السعادة وطريق النجاة في الدنيا والآخرة في كلمتين اثنتين – فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (قل آمنت بالله ثم استقم) [5]

إذاً فالإيمان ليس ادعاء وقولاً فقط، قل آمنت بالله ثم ترجم ذلك الإيمان إلى استقامة وإلى منهج عمل يفسر ذلك الإيمان الذي وقر في القلب.

جاء في رواية أخرى لحديث الاستقامة: قال سفيان: (فَمَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَأَخْذُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا). [6]

لأن أول سبل الاستقامة استقامة اللسان الذي يصلح القلب والجسد، قال صلى الله عليه وسلم: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) [7]

وقال كما في الصحيحين: (أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةٌ، إِذَا صَلَحتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [8]

فلاستقامة عمل ومنهج حياة لا ادعاء، كثير من الناس اليوم يردد كلمة الإيمان والتوحيد من غير أن يصدقها قلبه، ومن غير أن يحولها في حياته إلى واقع عملي، فهو يقف عند قول الله تعالى في أمر فيممثل، ويقف عند قول الله تعالى في قول آخر فلا يممثل، يقرأ قول الله في سورة البقرة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: 183]. فيممثل أمر الله في هذا الجانب، وفي السورة ذاتها يقف عند أمر الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْفَتْنَى} [البقرة: 178]. فلا يمثل بل يمانع ويجمع عشرته وقوته لكي يمنع حكم الله وخاصة إذا كان هو المعتمد. يقرأ قول الله تعالى في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهُكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} [المائدة: 6]. فيممثل، وفي السورة ذاتها: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]. فلا يمثل.

يسمع قول الله: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأعراف: 151] فيممثل، ويسمع قول الله: {فَقَاتَلُوا أَلَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات: 9] فلا يمثل!

إن كان الحق له يأتي ويطلب الحكم ويمثل، وإن كان الحق عليه عارض ورفض وجيش الوجاهات والقيادات ليمنع حكم الله فيه {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} (47) وإن دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الطالعون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطبع الله ورسوله ويخشى الله وبتهفة فأولئك هم الفائزون} [النور: 52-47]

من الناس من يردد بلسانه كلمة الإيمان وقد ضيع الصلاة، وامتنع عن الزكاة، وفعل الزنا، وشرب الخمر، وحرص على ذلك، والطامة الكبرى أنه بمجرد أن رد لا إله إلا الله يعتقد أنه قد حصل صكاً من صكوك الغفران، بدخول الجنان، والنجاة من النار.

{أَفَتُؤْمِنُونَ بِيَعْصِيِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِيَعْصِيِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا حِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ عَمَّا تَمْلَؤُنَ} [البقرة: 85].

قال سبحانه: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوَحِّي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَلِّ لِلْمُشْرِكِينَ} [فصلت: 6].

احفظوا الله في فروضه وحدوده وعهوده، يحفظكم في دينكم وأموالكم وأنفسكم، كونوا مع الله يكُن الله معكم، في حلكم وترحالكم، في حركاتكم وسكناتكم، في يسركم وعسركم، في قوتكم وضعفكم، في غناكم وفقركم، قال تعالى: {وَأَلَّوْ أَسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَنَّاقاً} [الجن: 16].

وقال في حق موسى وأخيه عليهم السلام: {قَالَ قَدْ أَجِبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَا نَسِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: 89]

4- الملائكة تنزل على أهل الاستقامة:

للعلماء في تنزل الملائكة على أهل الاستقامة قوله:

القول الأول: تنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة وهم على فراش الموت، إذا نزل بهم الخطب الأفضل، والأمر الأشنع، وسكرات الموت، التي لا يستطيع أي بلية أو فصيح مهما أتي من بلاغة وبيان أن يعبر عنها على الإطلاق؛ لأن هذا مما لا يدرك إلا إذا واقعه وعاشه الإنسان بنفسه.

تنزل إليهم الملائكة إن كانوا من أهل الإيمان والاستقامة لتبشرهم بهذه البشرة: {إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ

فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ * نُزُّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: 30-32].

القول الثاني: تنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة عند الخروج من القبور يوم البعث والنشور، ففي هذا اليوم العصيب يخرج أهل الإيمان والاستقامة من القبور، فتستقبلهم ملائكة العزيز الغفور بالبشارات: {إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبَّنَا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ * نُزُّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: 30-32]

{نُزُّلًا}: أي ضيافة وإكراماً وإنعاماً من غفور رحيم، غفر لكم الذنوب ورحمكم في يوم الأهوال والكروب.

هذا جزاء المؤمنين المستقيمين على طاعة رب العالمين جل وعلا، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

1 - رواه مسلم: 1830

2 - تفسير ابن كثير 4/354

3 - الطبراني في المعجم الكبير/ 790، وغيره، وصححه الألباني

4 - رواه مسلم / 1599

5 - رواه مسلم / 38

6 - أحمد / 15419، والترمذى / 2410، وصححه الألباني

7 - احمد / 13048، وحسن الألباني

8 - رواه البخارى / 52، ومسلم / 1599

المصادر: